أبو العلاء المعرّي: حياته وأعماله الأدبية

أولًا: التعريف به

أبُو العَلاءِ المعّرّي (363– 449 هـ / 973– 1057 م) هو أَحْمَدُ بنُ عَبدِ الله بنِ سُلَيمانَ بنِ مُحَمَّدٍ القُضَاعِي التَّنُوخِي المَعَرّي الشَّهير اختصارًا بِـ« أبي العَلاء المَعَرّي»، شاعرٌ وعالم لغوي ونحويٌّ وأديب وفيلسوف، من كبار أعلام الحضارة الإسلاميَّة عُمومًا وأحد أعظم شُعراء العرب والعربيَّة خُصُوصًا.

وُلد ومات في معرَّة النُعمان من أعمال حلب شماليَّ الشَّام، ونُسِب إليها «المعرّي». كان غزيرَ الأدب والشعر، وافرَ العلم، غايةً في الفهم، عالمًا بِاللُّغة، حاذقًا بِالنحو. عاش أغلب في العصر العبَّاسي الثاني الشهير بِـ« عصر نُفُوذ الأتراك» الذي شهد عدَّة اضطرابات سياسيَّة نتيجة ضعف سُلطة الخُلفاء واستبداد القادة التُرك ، وانتقال الدولة من نظام الحُكم المركزي إلى اللامركزي، فتجلَّت هذه الأوضاعُ في أدبه وشعره.

ثانيًا: حياته ونشأته

أُصيب بالعمى في طفولته بسبب مرض الجدري، وهو في الرابعة من عمره تقريبًا، و نشأ في بيت علم وقضاء، فوالده كان فقيهًا وأديبًا، حفظ القرآن صغيرًا، ودرس اللغة والنحو والفقه والأدب، رحل في طلب العلم إلى حلب وطرابلس وبغداد، حيث احتك بكبار العلماء والأدباء وعاد إلى المعرة بعد وفاة أمه، وآثر العزلة والزهد، فلقّب بـ رهين المحبسين (العمى والبيت).

ثالثًا: ملامح شخصيته الفكرية

اتّسم ابو العلاء المعري بالزهد والتقشّف والانقطاع عن الدنيا، وعُرف بعمق التفكير وكثرة التأمل الفلسفي. كان ناقدًا للمجتمع والتقاليد السائدة، امتاز بجرأة فكرية ولغوية جعلته موضع نقاش واسع بين العلماء قديمًا وحديثًا.

رابعًا: أعماله الأدبية

1. **اللزوميات (لزوم ما لا يلزم)**

ديوان شعري التزم فيه الشاعر قيدًا إضافيًا في القافية (حرفين بدل حرف)، تناول فيه قضايا الوجود، والأخلاق، والموت، والزهد، ونقد المجتمع، و يُعدّ من أعمق دواوين الشعر العربي من حيث الفكرة والصياغة.

2. **سقط الزند**

ديوانه الأول، نظمه في شبابه، يغلب عليه الطابع التقليدي في المدح والرثاء والوصف، يدلّ على تمكّنه من اللغة والشعر الكلاسيكي.

3. **رسالة الغفران**

عمل نثري فلسفي أدبي، صاغه في شكل رحلة خيالية في الجنة والنار، ناقش فيه قضايا الشعراء والعقيدة واللغة بأسلوب ساخر، تُعدّ من روائع النثر العربي، ويُقارنها بعض الدارسين بـ«الكوميديا الإلهية» لدانتي.

4. **الفصول والغايات**

كتاب نثري مسجوع، تناول فيه قضايا أخلاقية وفكرية بأسلوب بلاغي مكثّف، أثار جدلًا بسبب محاكاته الأسلوب القرآني من حيث السجع والتركيب.

خامسًا: مكانته الأدبية

يُعدّ من أعمدة الشعر الفلسفي في الأدب العربي، أثرى اللغة العربية بأفكار جديدة وصيغ لغوية مبتكرة، جمع بين عمق الفكرة وجزالة اللفظ، مثّل مرحلة انتقالية بين الشعر التقليدي والتأمل الفلسفي العميق.

شكّل أبو العلاء المعرّي ظاهرة أدبية وفكرية فريدة، إذ تجاوز حدود الشعر إلى آفاق الفلسفة والنقد الاجتماعي، فظلّ أثره حاضرًا في الدرس الأدبي إلى يومنا هذا، شاهدًا على عبقرية عقلٍ حرٍّ عاش زاهدًا وفكّر عميقًا.

لامية أبي العلاء المعري:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ

وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيّ إِذَا قِيـ ـسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ

صَاحِ هَذِهْ قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرُّحْـ ـبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟

خَفِّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ